مجلة بحوث
كليـــــــــــــة الآداب

البحث (٦)

التفسير الموضوعى وطرق تناوله

إعـــداد

د / محمد أحمد حسن محمود

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

العدد الثمانون يناير ٢٠١٠

Web site:http : // Art.menofia . edu. eg *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

التفسير الموضوعى وطرق تناوله

إعداد:
د/ محمد أحمد حسن محمود
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
كلية الآداب - جامعة جنوب الوادى

تمهيد:

يتكون هذا البحث من:

تمهيد وفصلين وخاتمة.

أما التمهيد فيحمل بين سطوره التطور التاريخى للتفسير الموضوعى وطرقه.

وجاء **الفصل الأول** متحدثاً عن الاتجاه والمنهج وأهم المناهج التفسيرية، ودوافعها، كما اشتمل على إشارات للنبى ﷺ وبعض الصحابة للمنهج الموضوعى ، وأهم الإشارات فى كتب المفسرين والمحدثين لهذا المنهج، وذلك فى مباحث.

أما **الفصل الثانى**: فيتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: تتبع الكلمة.

المبحث الثانى: تتبع الموضوع.

المبحث الثالث: تتبع السورة.

المبحث الرابع: تتبع العلاقات.

أما **الخاتمة** فاشتملت على أهم نتائج البحث.

وأخيراً قائمة المراجع.

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبعد:

من المعلوم أن لكل علم تاريخاً ، يسجل نشأته ، ويتتبع تطوره ، ويرصد اتجاهاته ومذاهبه ، وتاريخ تفسير القرآن الكريم زاخر بآلاف الدراسات التى قام بها العلماء الدارسون فى عصور متتابعة حول تفسير آياته والكشف عما فيها من أسرار البيان التعبيرى من إعجاز ، وما فيها من أحكام ومعانٍ ومبادئ فى العقيدة والتشريع والحكمة والاجتماع وغيرها مما لا ينتهى القول فيه.

بل لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن من العسير علينا حقاً أن نجد كتاباً كان محل الاهتمام المتنوع الذى حظى به القرآن الكريم.

لقد تنزلت آيات الكتاب المبين نجوماً متفرقة ، مبينة للعقيدة ، أو مشرعة للأحكام ، أو مجيبة عن سؤال ... إلى آخر غاياتها ودواعيها.

ومن دلائل الإعجاز ، أنه مع تفرق نجومه وكثرة موضوعاته وقضاياه ، إلا أنه متآلف الآيات ، متناسق الغايات ، فجميع آياته ذات رحم متواصل سواء ما كان منها متقارب النزول ، أم متباعده.

وقد تعددت الدراسات ، وتنوعت المؤلفات لمعرفة الغايات والوقوف على المرامى ، فظهر ما يسمى بالتفسير التحليلى والإجمالى والمقارن والموضوعى [1].

ولهذا النوع الأخير طرق:

أ- تتبع الكلمة الذى يعد أقدم طرق تناول التفسير الموضوعى المدون.

ب- تتبع الموضوع ، ويمثل نقلة منهجية فى فن التفسير الموضوعى تجاوز إطار التعامل مع الكلمة.

ج- تتبع السورة ، ودائرته تحيط بالسورة القرآنية الواحدة ، ويهدف هذا النوع إلى الكشف عن الهدف الجامع الذى تدور حوله السورة.

د- تتبع العلاقات ، وهذا النوع يبحث عن آفاق العلاقة بين السورة وما يجاورها من سور.

قال الشيخ محمد عبد الله دراز - رحمه الله - إن السورة مهما تعددت قضاياها فهى كلام واحد يتعلق آخره بأوله ، وأوله بآخره ، ويترامى بجملته إلى غرض واحد ، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض فى القضية الواحدة ، ولأنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر فى جميعها ، كما لا غنى عن ذلك فى أجزاء القضية"[2].

ومن يرجع إلى كتاب "بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز" للعلامة الفيروزآبادى، المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، يجد فى الصدارة من تفسيره للسورة بياناً بمقاصدها قبل أن يوغل فى الحديث عن تفاصيلها.

وللإمام برهان الدين البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ هـ تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور" جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض ، وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه.

وفى العصر الحديث رفع لواء فهم القرآن الكريم على أساس من الوحدة الموضوعة للسورة الواحدة الإمام الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٩٠٥م - رحمه الله - وتأثر به تلميذه السيد محمد رشيد رضا ، المتوفى سنة ١٩٣٥م فى كتابه "تفسير القرآن الكريم" حيث يعتنى بالفكرة التى تقوم عليها السورة ؛ لتكون أساسا فى فهم آياتها ؛ بل كان يتبع تفسير كل سورة بملخص لأهم موضوعاتها والأحكام التى وردت فيها.

وممن تأثروا بهذه الطريقة الشيخ محمود شلتوت ، المتوفى سنة ١٩٦٣م - رحمه الله - ففى تفسيره "لم يكتمل" يضع بين يدى تفسير كل سورة أهم مقاصدها ثم يوفيها حقها من البحث بطريقة موضوعية.

وللأستاذ سيد قطب المتوفى سنة ١٩٦٦م - رحمه الله - جهد مشكور فى بيان كيفية فهم السورة من القرآن كوحدة كلية ، وذلك بالتقديم لتفسيرها بتعريف يتوخى فيه – قدر الإمكان – إلقاء الضوء على الملابسات التى أحاطت بها وقت نزولها ، مبرزاً مقاصدها وغاياتها.

وأخيراً ، فللشيخ محمد الغزالى المتوفى سنة ١٩٩٦م - رحمه الله - جهد موفور فى كتابه "نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم"لم يكتمل".

ولأستاذنا د/ عبد الله شحاتة المتوفى سنة ٢٠٠٢م - رحمه الله - كتاب طيب فى هذا المجال "التفسير بين الماضى والحاضر" ضمنه أهداف بعض السور القرآنية ومقاصدها.

ولأستاذنا ا.د/ محمد نبيل غنايم – بارك الله فى عمره - كتاب حول التفسير الموضوعى للقرآن الكريم.

وقد صدر أخيراً (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠م) من جامعة الشارقة بالإمارات كتاب "التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم" إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، إشراف ا.د/ مصطفى مسلم ، فى عشرة أجزاء ، أنيقة الطباعة والإخراج.

وفيه تمهيد للسورة بعنوان "بين يدى السورة" يتناول اسمها وفضائلها وعددها والمناسبات ، ثم التفسير الإجمالى للمقطع ، ثم الهدايات المستنبطة من المقطع ، والمبادئ العامة.

ونتيجة لتعدد الشخصيات العلمية التى قامت بالعمل ، فقد تفاوت الأسلوب بشكل واضح سواء فى المعنى الإجمالى لآيات المقطع أو الربط بين مقاطع السورة أو الربط بينهما وبين محور السورة.

الفصل الأول: المناهج والإشارات

لقد عرف العلماء من قديم لتفسير القرآن فضله وأنزلوه منزلته بين العلوم دينية وغيرها ، وكشفوا عن ذلك الفضل وتلك المكانة فيما صرحوا به من اكتساب العلوم لشرفها أوضعتها من موضوعاتها ومسائلها ، ومقدار الحاجة إليها وانتفاع الناس بها .

ولا شك أن علم التفسير لو نظر إليه بأى اعتبار من هذه ، أو وزن بأى ميزان صحيح لحاز السبق فى الفضل بين العلوم ، ونال المكانة العليا والشرف الرفيع [٣].

المبحث الأول: تبيين الاتجاه والمنهج

إن من أهم المصطلحات التى يصادفها دارسى علم تفسير القرآن الكريم ، والمؤرخ لمساره مصطلحى الاتجاه والمنهج ، فهل هما مصطلح واحد ، أم أنهما مصطلحان متباينان يراد بكل واحد منهما مالا يراد بالآخر؟

فمفهوم الاتجاه يتحدد أساساً لمجموعة الآراء والأفكار التى تشيع فى عمل فكرى كالتفسير بصورة أوضح من غيرها ، ويحكمها إطار نظرى. فقديما كان هناك اتجاه لكراهية إعمال العقل والرأى فى تفسير القرآن ، وسمى هذا الاتجاه "المأثور" ووقف فى مقابله اتجاه آخر رغب فى الابتكار ، بل وثق أصحابه فى قدرتهم العقلية من خلال نظر صحيح وجديد فى آيات القرآن بعدما استوفوا شروط المفسر والتفسير ، وسمى هذا الاتجاه "الرأى".

على أن الاتجاه الواحد فى التفسير على الرغم من تميزه بسمته الغالبة ، قد يحمل بين جوانبه روافد وتيارات متنوعة لا تخرجه عن اتجاهه المحدد المعروف.

وإذا كانت لكل المفسرين عامة إلى ما قبل العصر الحديث طريقة واحدة فى تناول الآيات ، إلا أن لكل منهم طريقة خاصة ذاتية ، بحيث يمكن القول إن مناهج التفسير تتنوع وتتعدد بتنوع وتعدد المفسرين أنفسهم ، فلكل منهم مسلك خاص فى تفسير المفردات وعلاقاتها ببعضها ، وما ورد حولها من آثار وما تحمله من دلالات وأحكام.

ومعنى ذلك أن هذه الطريقة كونت شكلا وقالباً يحتوى المضمون الفكرى لمنهج المفسر ؛ ونظراً للبس الحادث بين الاتجاه والمنهج ، فقد عبر البعض عن الاتجاه بالمنهج والعكس ؛ إلا أنه وبعد طرح العصر الحديث لطرق متنوعة فى تناول النص القرآنى ، فلم

يعد لأحد عذر فى أن يفرق بين الاتجاه والمنهج من حيث المناهج الفنية والقوالب الشكلية أو الاتجاهات الأثرية والعقلية.

ولذا يمكن القول إن الاتجاه التفسيرى يدل أساسا على مجموعة من المبادئ والأفكار المحددة التى يربطها إطار نظرى وتهدف إلى غاية بعينها ، وإن دخلت هذه الاتجاه روافد وتيارات متنوعة لا تخرجه عن مساره المحدد.

أما المنهج التفسيرى وهو: يدل أساساً على الوسيلة المحققة لغاية الاتجاه التفسيرى ، والوعاء الذى يحتوى أفكار هذا الاتجاه التفسيرى.

ومعنى ذلك أنه يمكن لأى مفسر أن يقدم تفسيره ذا الاتجاه المحدد من خلال أى منهج يراه محققاً ومسايراً لاتجاهه التفسيرى [٤].

المبحث الثانى: المناهج التفسيرية

ظل المنهج التفسيرى التقليدى هو المسيطر على عقول المفسرين على اختلاف اتجاهاتهم إلى مطلع العصر الحديث ، حتى واجه المفسر واقع الأمة ومشكلاتها ، فاصطبغ جهده بالواقعية التجديدية ، ومال إلى التطبيق العملى ، وقد يغفل التفصيلات البيانية أو اللغوية فى محاولة للوصول إلى هدفه ؛ حيث تأدية الدور السياسى والاجتماعى والفكرى الناقع للأمة.

لقد مكّنت الأنماط المستحدثة والمناهج الجديدة ، المفسر الحديث من أداء واجبه الجديد فى توجيه المجتمع الإسلامى ، وكان أسبقها فى الظهور هو:

التفسير بالمقال: وذلك من خلال المقالات التى كانت تنشر بالصحف المختلفة حيث قام المفسر بالربط بين مرامى النص القرآنى ومشكلات المجتمع المعاصر الملحة ، فتخففوا كثيراً من الالتزام بتسلسل الآيات ، وركزوا على تحليل الآيات التى تتعرض لمقالاتهم ، وكان الأستاذ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومحمد فريد وجدى ممن سبقوا إلى ذلك.

التفسير الموضوعى: نظراً لقصور المنهج السابق ، فجاءت الدعوة إلى منهج يعمد فيه المفسر إلى جمع الآيات التى وردت فى موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها ، فمن ثم يتجلى له الحكم وتتبين له الغايات والمقاصد ، وكان هذا

المنهج مناسباً لعصرنا الحاضر ، حيث يهدف إلى إرشاد الناس إلى أنواع الهداية فى القرآن الكريم.

التفسير التقليدى الموضوعى: جاء هذا المنهج محافظا على ترتيب القرآن التوقيفى وعلى سياق الأسلوب الكاشف عن الإعجاز البيانى للقرآن ، فتفسر آيات القرآن طبقاً له ثم تركز داخل هذا الإطار على الموضوعات التى يتعرض لها القرآن ، فتتوقف أمام الموضوع عند أول أية تعرض له ، وتشد إليها جميع آيات القرآن التى أفادت هذا الموضوع أو تعرضت له ، حتى يتمكن المفسر من دراسته من جميع جوانبه ، ثم يعود المفسر مرة أخرى إلى الآية التالية فى سياق تفسيره التقليدى.

لقد وجهت للمناهج الجديدة انتقادات ؛ فهى لم تقدم تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم ، وبعدت عن محاكاة الأقدمين ، هذه المحاكاة التى أصبحت صعبة ، تحول دونها اليوم عقبات [٥]. أما الانتقادات والرد عليها فليس محلها هنا [٦].

المبحث الثالث: اللبنات الأولى

أ- لقد خص النبى ﷺ الكلمة القرآنية إذا كانت متعددة المواضع ؛ وذلك لنتعلم كيف نحصل على الفوائد المرتبطة بذلك ، كلما كنا بحاجة إليها ، وذلك بأن نعمد مباشرة إلى كلمة بذاتها لننظر فى مواضعها المتعددة .

ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه , قال : لما نزلت هذه الآية ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [٧] . شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يقع فى الظلم ، يقصدون ما يقع فى حياة الناس اليومية من بعض التنازع ، وقد يظلم بعضهم بعضا فى ذلك وهم لا يشعرون . قال ﷺ "إنه ليس الذى تعنون . ألم تسمعوا قوله تعالى ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [٨] . إنما هو الشرك [٩].

فالسنة بذلك فتحت لنا وجها من وجوه العلم ، وأبواب الفهم لكتاب الله ، من خلال بيانها لهذا التقدم والتنوع اللذين تحملهما معها كل كلمة قرآنية متعددة المواضع فى القرآن كله [١٠] .

ب- ويضع على بن أبى طالب ﷺ لبنة أخرى بفكره الثاقب ونظره الصادق فى القرآن الكريم ؛ فقد كان علىّ يجمع الآيات فى الموضوع الواحد ليستخلص منها جميعاً حكماً صادقاً يفسر فيه القرآن بعضه بعضا .

ومن ذلك قصة مراجعته لعمر بن الخطاب ﷺ فى إقامة حد الزنا على من وضعت بعد زواجها بستة أشهر. فقد روى ابن حزم أن عليًا ذكّر عمر بقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهر) [١١] . مع قوله ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ [١٢] فرجع عمر ﷺ عن إقامة الحد عليها [١٣].

فعمر ﷺ حكّم العادة من أن المرأة لا تلد لأقل من سبعة أشهر ، وأعتبر ذلك قرينة لإقامة الحد ، بينما على ﷺ حكّم القاعدة التى تدرأ الحدود بالشبهات ، وفهم من الآيتين أن مدة الحمل يمكن أن تكون ستة أشهر ، وهى شبهة تحول دون القطع بوقوع الزنا ومن ثم فلا يقع الحد[١٤].

ج- ويعد ابن كثير من أكثر المفسرين القدامى الذين استخدموا هذا المنهج فهو يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد وهى صورة مشهورة عنده ، والأمثلة عليها كثيرة ، ونسوق هنا مثالا على ذلك، فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ [١٥] يقول: يقول تعالى مذكرا للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم إلى عرصات القيامة "ويوم يحشرهم" الآية ، كقوله ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [١٦] وكقوله ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [١٧] . وقال تعالى ﴿يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا﴾ [١٨] وقال تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ [١٩] والأمثلة على ذلك كثيرة [٢٠].

د- المنهج الموضوعى عند المحدثين : ومن الجميل أننا نجد هذا المنهج الموضوعى عند بعض كبار المحدثين .

ا- فعند الإمام مسلم نراه قد نهج منهج الأبواب الحديثية ؛ وهذا المنهج يجمع الروايات ذات الموضوع الواحد فى مكان واحد ، وهو أمر ينتفع به المحدث الذى يريد متابعة الطرق والأسانيد ليزداد من المعرفة الحديثية المتخصصة. ومن نتائج هذا المنهج السهولة

واليسر فى الوصول إلى الحديث المطلوب ؛ لأن طالب الحديث يجده فى الأبواب المخصصة له [٢١].

كما أننا نجد عند مسلم استخدامه سياق وظروف وبيئة النص للوصول إلى ما يسمى بالقصة الحديثية المتكاملة ؛ وذلك من خلال كثرة الروايات التى تروى عبر الأسانيد والمتون للوصول إلى نوع من التكامل [٢٢].

ب- كما أن الإمام الترمذى لا ينظر للحديث من خلال رواية واحدة فقط ، بل ينظر إليه من خلال الباب ، فهو يتعامل مع الموضوع الواحد وما فيه من أحاديث متصلة ومنقطعة ، وأقوال الصحابة والتابعين ومذاهب الأئمة المشهورين [٢٣].

الفصل الثانى: طرق تناول التفسير الموضوعى

لقد تعددت طرق تناول التفسير الموضوعى تعدداً ناسب مراحله وأدواره ، ومكن من رصد تطوره المنهجى حتى بلغ طور النضج والاستقرار على النحو الآتى :

المبحث الأول : تتبع الكلمة

يعد تتبع الكلمة أقدم طرق تناول التفسير الموضوعى المدون ، وتتحدد ملامحه فى تتبع كلمة قرآنية ، بجمعها من الآيات بذاتها أو على صورة إحدى مشتقاتها ، ثم الإحاطة بتفاسير هذه الآيات ومحاولة استنباط دلالات تلك الكلمة القرآنية من خلال استعمال القرآن لها دون أن ينبنى على ذلك الاستنباط الدلالى هدايات أو توجيهات قرآنية معينة ، وإنما تدور هذه الطريقة فى إطار دلالة الكلمة فى موضعها المفرد فحسب [٢٤].

ومعلوم أن كثيرا من الكلمات قد اكتسب معانى شرعية لم تكن موجودة من قبل ، مثل : الصلاة ، الحج ، الزكاة ، الصوم ، كما أن كلمات أخرى قد تحولت باستخدام القرآن لها إلى مصطلحات قرآنية ذات وجوه جديدة فى الدلالة والاستعمال ، مثل : الأمة ، الصدقة ، البر ، الجهاد ، الكتاب ، المنافقون ، أهل الكتاب ، الصديق ، الشفاعة ، الكفر ، الشيطان .

ولا شك أن من يتتبع تلك الكلمات فى مظانها القرآنية سيخرج بمعالم جديدة لنظام قرآنى متفرد فى تناول الكلمة ، وما يترتب على ذلك التناول من دلالات تبدو فى مواضعها التى جاءت فيها دون الربط بينها فى بقية المواضع .

ويعد مقاتل بن سليمان البلخى (ت ١٥٠ هـ) أول من بدأ هذا التناول فى كتابه : (الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم) [٢٥].

فأتى على الكلمات التى اتحدت فى اللفظ واختلفت فى الدلالة بحسب السياق القرآنى ، من ذلك تفسيره للطعام فى القرآن على أربعة وجوه ، وانظر إليه وهو يعالج هذا الفن التفسيرى فيقول:

فوجه منها : الذى يأكله الناس كما قوله - تعالى -: ﴿الذى أطعمهم من جوع﴾ [قريش : ٤] .

ووجه منها : الذبائح ، فذلك قوله - تعالى -: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ [المائدة : ٥] يعنى : ذبائحهم .

ووجه: مليح السمك : فذلك قوله - تعالى -: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ [المائدة : ٩٦] ، يعنى : مليح السمك .

ووجه : يعنى شربوا ؛ فذلك قوله - تعالى -: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ [المائدة : ٩٣] ، يعنى : شربوا الخمر قبل التحريم ، ومنه قوله – تعالى : ﴿ومن لم يطعمه فإنه منى﴾ [البقرة : ٢٤٩] (٢٦).

وكتب يحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ) (التصاريف) ففسر القرآن بتتبع ما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه على طريقة مقاتل (٢٧).

وتابعهما الدامغانى (ت ٤٨٧ هـ) فى كتابه : (إصلاح الوجوه والنظائر) فقال تحت مادة [خ ي ر] ما يلى (٢٨): [خ ي ر] تأتى على عدة أوجه: المال ، الإيمان ، الإسلام ، أفضل ، العافية ، الأجر ، الطعام ، الظفر ، الغنيمة.

فوجه منها : الخير بمعنى المال ، ومنه قوله - سبحانه - فى سورة البقرة : ﴿إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا﴾ [البقرة: ١٨٠] ، يعنى مالاً. وقوله - تعالى -: ﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين) [البقرة: ٢١٥] ، وكقوله - تعالى - ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ [البقرة: ١١٠] ، وقوله - تعالى - : ﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، أى لا تنفقوا مالاً ، وقوله - تعالى - : ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، يعنى: من مال ، وقوله - تعالى - ﴿إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى﴾ [ص: ٣٢] يعنى: حب المال ، وقوله - تعالى - (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا) [النور: ٣٣] يعنى: مالاً.

والثانى: الخير يعنى الإيمان كقوله - تعالى -: ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم﴾ [الأنفال: ٢٣] يعنى لو علم إيماناً ، وقوله - تعالى -: ﴿ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا﴾ [هود: ٣١] يعنى إيماناً.

والثالث: الخير يعنى الإسلام كما فى قوله - تعالى - ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ [البقرة: ١٠٥] يعنى الإسلام ، ونظيرها قوله - تعالى -: ﴿مناع للخير﴾ [القلم: ١٢] يعنى الإسلام ؛ نزلت فى الوليد بن المغيرة منع ابن أخيه أن يسلم.

والرابع: خير يعنى أفضل ، ومنها قوله - تعالى -: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١١٨] يعنى أفضل الراحمين ، وقوله - تعالى -: ﴿وهو خير

الحاكمين﴾ [يونس: ١٠٩] أى أفضل الحاكمين ، ونحوه قوله - تعالى -: ﴿أم أنا خير من هذا الذى هو مهين﴾ [الزخرف: ٥٢] يقول أفضل من هذا.

والخامس: الخير يعنى العافية مثل قوله - تعالى -: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾ [الأنعام: ١٧] يعنى العافية.

والسادس: الخير يعنى الأجر فى قوله - تعالى -: ﴿لكم فيها خير﴾ [الحج: ٣٦] يعنى لكم فيه أجر ، يعنى البدن.

والسابع: الخير يعنى الطعام كما فى قوله - تعالى -: ﴿فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] يعنى الطعام.

والثامن: الخير يعنى الظفر والغنيمة والطعن فى القتال نحو قوله - تعالى -: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وكتب الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) مصنفه الشهير (المفردات فى غريب القرآن) [٢٩] فقال عند تعقبه لكلمة [الأمة]:

والأمة: كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين أو زمان أو مكان ، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً. وجمعها: أمم.

وقوله - تعالى -: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ [الأنعام: ٣٨] أى: كل نوع منها على طريقة قد جبله الله عليها بالطبع. فهى بين ناسجة كالعنكبوت ، وبانية كالسرفة [٣٠] ومدخرة كالنمل ، ومعتمدة على قوت وقتها كالعصفور والحمام إلى غير ذلك من الطبائع التى تخصص بها كل نوع. وقوله - تعالى -: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ [البقرة: ٢١٣] أى صنفاً واحداً وعلى طريقة واحدة فى الضلال والكفر ، وقوله - تعالى -: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ [هود: ١١٨] أى فى الإيمان ، وقوله - تعالى -: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ [آل عمران: ١٠٤] أى جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم ، وقوله - تعالى -: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمّه﴾ [الزخرف: ٢٢] أى على دين مجتمع. وقوله - تعالى -: ﴿وادكر بعد أمة﴾ [يوسف: ٤٥] أى حين. وقرئ: (بعد أمَه) [٣١] أى بعد نسيان. وحقيقة ذلك: بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين. وقوله - تعالى -: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله﴾ [النحل: ١٢٠] أى قائماً مقام جماعة فى عبادة الله. نحو قولهم : فلان فى نفسه قبيلة. وقوله - تعالى -: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب

أمة قائمة﴾ [آل عمران: ١١٣] أى جماعة. وجعلها الزجاج هاهنا للاستقامة ، وقال تقديره: ذو طريقة واحدة. فترك الإضمار [٣٢].

ووضع عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) كتابه "نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر" [٣٣] الذى رتبه على الحروف ، وهو أشبه بالمعجم ، يعرض للفظ الواحد بالشرح اللغوى المطلوب ، وهو تفسير شامل لمفردات الألفاظ القرآنية التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، معتمداً فى شرحه على أقوال أهل التفسير والحديث والفقه ، وربما عرض لمسائل فى القراءات القرآنية ، ونعرض فيما يلى نماذج: (باب "إلى". إلى حرف من حروف الخفض وهى موضوعة فى الأصل للانتهاء والغاية ... وذكر أهل التفسير أن "إلى" فى القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها : ورودها على أصلها. ومنه قوله - تعالى -: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧] وفى طه : ﴿ اذهب إلى فرعون﴾ [طه: ٢٤] . **والثانى**: بمعنى "مع" ومنه قوله - تعالى -: ﴿من أنصارى إلى الله﴾ [الصف: ٥٢] وفى سورة النساء ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ [النساء: ٢]. **والثالث**: بمعنى "اللام" ومنه قوله - تعالى -: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ [الأنعام: ١٢] وألحق بعضهم وجها رابعاً فقال بمعنى "الباء". ومنه قوله - تعالى -: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ [البقرة: ١٤].

(باب الرؤية): الرؤية فى الأصل: إدراك المرئى بالعين ... وذكر أهل التفسير أن الرؤية فى القرآن على ستّة أوجه:

أحدها: النظر والمعاينة ، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ [الزمر: ٦٠]. **والثانى**: العلم ، ومنه قوله - تعالى -: ﴿وأرنا مناسكنا﴾ [البقرة: ١٢٨]. **والثالث**: الاعتبار ، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ألم يروا إلى الطير فوقهم مسخرات فى جو السماء﴾ [النحل: ٧٩]. **والرابع**: السماع ، ومنه قوله - تعالى -: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم﴾ [الأنعام: ٦٨]. **والخامس**: التعجب ، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ [النساء: ٤٩]. **والسادس**: الإخبار ، ومنه قوله - تعالى -: ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه﴾ [البقرة: ٢٥٨] [٣٤].

المبحث الثاني: تتبع الموضوع

يمثل هذا التناول نقله منهجية في فن التفسير الموضوعي ، تجاوزت إطار التعامل مع كلمة قرآنية واحدة في استخدامات القرآن لها إلى التعامل مع موضوع معين يتعرض له القرآن الكريم بأساليب متنوعة ، فيعنى الباحث بتتبع الموضوع في سور القرآن مستخرجاً الآيات التي تناولته ، محيطاً بطرق المفسرين في عرضها ، مستنبطاً عناصره من القرآن ذاته ، في محاولة لتقديم العلاج القرآني لتلك القضية أو إلقاء أضواء قرآنية عليها.

ولا شك أن عملية التصور الأولى لأبعاد الموضوع جزء من نجاح الباحث في خدمة هذه الطريقة ؛ إذ الفهم يأتي بعد التصور. ويأتي من بعد ذلك اختيار العنوان وجمع الآيات المتعلقة به وترتيبها بحسب نزولها ؛ لأن ما نزل بمكة كان في الأعم الأغلب يتعلق بأسس عامة ، بخلاف التنزيل المدني الذي اتسم بتحديد معالمه ، ثم يأتي دور تفسير هذه الآيات وفهم دلالتها وما ترمي إليه ألفاظها وما تحمله من الروابط بينها ، مع الإحاطة قدر الإمكان بمعانيها مجتمعة ، وفهم التوجيهات القرآنية التي تحيط بها وتنساب في ثناياها ، والاجتهاد في تلمس الهدايات القرآنية المنبثة في نصوصها الكريمة .

والواقع أن هذا النوع من التفسير الموضوعي هو الأشهر في عرف أهل الاختصاص ؛ بحيث إذا أطلق اسم التفسير الموضوعي لا يكاد الذهن ينصرف إلا إليه .

ويمكن تفسير نقاط العمل فيه على النحو الآتي :

١- تصور الموضوع ومحاولة تحديده وعنونته .

٢- تتبعه في سور القرآن الكريم وجمع الآيات التي تعرضت له .

٣- الوقوف على أقوال أهل التفسير في تلك الآيات وترتيب نزولها وأماكنها .

٤- استنباط عناصر الموضوع من طرق عرض القرآن الكريم له ، وأقوال أهل التفسير فيه .

٥- التنسيق بين تلك العناصر بما تقتضيه طبيعة البحث والتسلسل المنطقي لأفكاره .

٦- وضع مقدمة تكشف عن طريقة القرآن الكريم في عرض أفكار ذلك الموضوع .

٧- تقسيم الموضوع إلى أبواب وفصول ومباحث ومسائل ، مستدلاً على ذلك التقسيم بالآيات ذاتها .

٨- ربط الموضوع بواقع الحياة ومشكلاتها محاولاً تقديم الحلول القرآنية لها [٣٥].

ولقد كثرت المصنفات التي تناولت هذا النوع قديماً ، فطالت :

١- إعجاز القرآن .
٢- الناسخ والمنسوخ .
٣- أحكام القرآن .
٤- أمثال القرآن .
٥- مجاز القرآن .
٦- تأويل مشكل القرآن [٣٦].

أما الحديث منها فلا تكاد تنتهي موضوعاته ؛ إذ كلما جدت صنوف المعارف جد البحاثة من أهل العلم في استشراف هدايات القرآن بحثاً عن التوجيهات الربانية في هذا الشأن سواء ما تعلق منها بالكون في أرضه وسمائه ، أو بالإنسان في خلقه وتكوينه وغرائزه وعقله وأخلاقه ، أو بالحياة الاجتماعية وأخذ العبر من سير الأقوام والأمم الماضية ، أو بالعلاقات الدولية وأمور الاقتصاد والسياسة وأنظمة الحرب والسلم ، أو حتى ما يتعلق بأحوال الغيب .

ومن قواعد المنهجية العلمية الصحيحة لهذا النوع من التناول خاصة ، أن يتجنب الباحث الإسرائيليات والروايات الضعيفة والقصص والتاريخ ، ويعنى بشرح الكلمات الغريبة وتوجيه القراءات وإبراز النكت البلاغية التي تعرض له أثناء البحث وذلك في الحاشية .

وان يحافظ في وعي على تسلسل أفكار بحثه ، وتعانق فقراته ، وسلاسة أسلوبه ، وإشراقة بيانه ؛ فإن عمله إنما يدور حول أشرف الكلام وهو كلام رب العالمين .

وقد عُني بذلك المنهج لفيف من أهل العلم من أمثال : الدكتور عبد الغني الراجحي في كتابه : (المناهج الجديدة) ، والدكتور محمد البهي في كتابه : (نحو القرآن)[٣٧] والدكتور محمد محمود حجازي في رسالته للدكتوراه المعنونة ب "الوحدة الموضوعية في القرآن" وفيها يقول : قد عرفنا أن القرار نزل منجماً ، وكل وحدة في النزول ضمت لأخواتها في مجموعة واحدة [السورة القرآنية] ، هذه الوحدة إذا ضمت إلى وحدات أخرى لم تكن كالوحدة الحسابية إذا ضمت إلى زميلاتها ؛ وإنما هي وحدة ضمت إلى وحدة كما يضم العضو في الجسم إلى العضو الآخر [٣٨] ثم يقول : وأعجب العجب أن هذه الوحدة التي نزلت في موضوع خاص إذا أخذتها وضممتها إلى الوحدات الأخرى التي نزلت في هذا الموضوع نفسه لرأيت العجب تماسكا وتكاملا وارتباطاً ووحدة في الموضوع" [٣٩] وقدم صورة لهذه

الوحدة الموضوعية عند كلامه على سورة المائدة ، فقال بعد عرضه لموضوعية السورة: "أرأيت أن الوحدة الموضوعية لم تتم إلا بضميمة كل ما ذكر من آيات في السور كلها ، وهذا ما نريد أن نصل إليه . فنقول: لا يمكن تحقق كمال الوحدة الموضوعية بالنسبة لكل سورة فيها الموضوع على انفراد ، وها نحن عرفنا أن سورة المائدة كغيرها من السور اشتملت على عدة موضوعات لا تعطينا وحدة كاملة إلا إذا ضم لها ما ذكر في غيرها . وكل ما ذكر في السور الأخرى له وجهان : وجه اتفاق ووجه اتحاد يتعاونان في تكوين موضوع واحد يتكامل مع بقية أجزائه المذكورة في السور الأخرى" [٤٠].

المبحث الثالث: تتبع السورة

القرآن الكريم كتاب هداية ربانية تمثل آخر اتصال بين وحي السماء وأهل الأرض ، لكونه الكتاب الإلهي الخاتم المرشد إلى الصحيح في الاعتقاد والخير في السلوك : فلا غرو أن تكون طريقته في التأليف مغايرة لما ألفه الناس ، فليست سوره مجرد فصول من كتاب بحيث تستقل كل سورة عن غيرها ، وإنما طريقة القرآن ككتاب هداية تستلزم أن يسلك طرقاً عديدة يدخل منها إلى النفس ، كما أن الهدايات تجتمع في القرآن بتمامه فإن هذه الهدايات منبثة أيضاً في سورة بصورة تجل عن الوصف ، يراها من يمعن النظر فيها فيجد لكل سورة وحدة تجتمع حولها آياتها وإن تعددت موضوعاتها ، ويحس فيها روحاً تسرى بين أجزائها ، ووشائج تربط بينها ، ومقصداً يجمعها .

وهذا النوع من الدراسة هو الذى يميز التناول الثالث للتفسير الموضوعى ، فدائرته تحيط بالسورة القرآنية الواحدة ، وتتجلى مهمة الباحث فى الكشف عن الهدف الجامع الذى تدور حوله السورة . وطريقته : أن يستوعب الباحث أهداف السورة المنبثة فى أسباب نزولها وترتيبها ومكيها ومدنيها وأسمائها وعدد آيها ومقاصدها الفرعية وأساليب عرضها والمناسبات بين مقاطعها [٤١]. فالسورة فى مجملها كل لا تنفصم عراه وطائفة ملتئمة من الآيات لا تحتمل تقطيعها ، وإنما النظر إليها يكون فى كلها لا فى بعضها ولا تتم الفائدة إلا باعتبارها كياناً حياً واحداً ، وهو ما يرتب على إدراك مقصدها النظر إليها كلها واستيفاء معانيها بتمامها .

يقول الشاطبي (ت ٧٩١ هـ) في الموافقات : "اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر ؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها ، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها. فسورة البقرة مثلاً كلام واحد باعتبار النظم وإن احتوت على أنواع من الكلام بحسب ما ثبت فيها ؛ فمنها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدى الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم ، ومنها ما هو المقصود في الإنزال وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب . ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت ، وما أشبه ذلك ، ولا بد من تمثيل شئ من هذه الأقسام فيه يبين ما تقدم : فقوله - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة : ١٨٣] إلى قوله - تعالى -: ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ [البقرة : ١٨٧] كلام واحد وإن نزل في أوقات شتى ، وحاصله : بيان الصيام وأحكامه وكيفية آدابه وقضائه وسائر ما يتعلق به من الجلائل التي لابد منها ولا ينبني إلا عليها"[٤٢].

وعلى ذلك فإن اعتبار جهة النظم في السورة الواحدة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر ، وكذا في الآية ، فسورة البقرة كلام واحد باعتبار النظم وإن احتوى على أنواع من الكلام ، وسورة الكوثر نازلة في قضية واحدة ، وسورة العلق نازلة في قضيتين : الأولى: حتى قوله : ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ٥] ، والأخرى : بقية السورة ، وسورة المؤمنون المكية نازلة في قضية واحدة وهي : الدعاء إلى عبادة الله تعالى ؛ وان اشتملت على ما قرره القرآن المكي في معانيه الثلاث : تقرير الوحدانية ، وتقرير النبوة ، وإثبات المعاد . ومن أراد الاختبار في سائر سور القرآن فالباب مفتوح [٤٣].

ويدل البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) على مناسبات القرآن واتصاله بالوحدة الموضوعية في السورة القرآنية الواحدة فيقول : "فعلم مناسبات القرآن : علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها" [٤٤].

وليس من شك في أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الواضحة : فمن المعلوم أن السور المكية قد عرضت أسس العقيدة الإسلامية الثلاثة بشكل مفصل : الإلوهية ، والرسالة ، والبعث بعدد الموت . ويمكن للباحث أن يتناول من كل سورة مكية أحد الأسس

الثلاثة بجانب اشتمال الكثير منها على أمهات الأخلاق والتنفير من مرذولها ، في حين تشتمل السور المدنية على الكليات الشرعية ، وتحيل إلى الحوار وإقامة البرهان وتفنيد مزاعم المعارضين وأهل الكتاب وفضح المنافقين [٤٥].

ولقد ظفر هذا التناول الموضوعي للقرآن بعناية أكابر الأقدمين ، فوردت في تفاسيرهم إشارات إلى بعض أهداف السور ، خاصة القصير منها ، ووردت لطائف توخوا من خلالها أوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور كما فعل الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) في تفسيره الكبير[٤٦] وابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) (في التفسير القيم) الذي جمعه : محمد أويس الندوى .

يقول محمد أحمد السنباطي : عن منهج ابن القيم في التفسير : "يظهر أن الأساس الأول لمنهج ابن قيم الجوزية يتمثل فى إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، وهي التي نزلت السورة لها ، وتعد أساساً لفهم آياتها ؛ بحيث ترى أن كل جزء من السورة يبدو خادماً ومخدوماً فيها" [٤٧].

كما تمثل هذا التناول بوضوح في تفسير : (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للبرهان البقاعي وكتاب (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) وفيه يقول البقاعي : "إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها ، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب أيها وقصصها وجميع أجزائها . . . فإن كل سوره لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها ؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع منهج ، وإذا كان فيها شيء يحتاج دليلا استدل عليه . وهكذا في دليل الدليل وهلم جراً [٤٨].

ويضرب المثال على ذلك فيقول : " سورة آل عمران مقصودها التوحيد لذلك بدئت به وختمت بما بُني عليه من الصبر وما معه من التقوى، وسورة مريم مقصودها شمول الرحمة ففتحت بذكر الرحمة وختمت بأن كل من كان على نهج الخضوع لله يجعل له وُدّا ثم كرّر الوصف بالرحمن فيها تكريراً يلائم مقصودها" [٤٩].

المبحث الرابع: تتبع العلاقات

يعد هذا النوع أكثر أنواع التناول الموضوعي تطوراً وإضافة ؛ فهو لا يتتبع كلمة قرآنية ليستنبط دلالاتها ، ولا يعرض لموضوع قرآني فيجمع آياته ويربط بينها . كما أنه لا

ينظر للسورة القرآنية الواحدة كوحدة موضوعية بالبحث عن مقصدها الأكبر الذي تدور عليه ، وإنما يضيف إلى عنايته بالوحدة الموضوعية لكل سورة ، البحث عن آفاق العلاقة بما يجاورها من سور ، فينظر في فواتح السور وخواتيمها ، ويربط بينها مجتمعة تارة ومتفرقة تارة أخرى جامعاً بين موضوعات السور ما استقام له الجمع ، بحيث تبدو سور الكتاب وقد التقت معانيها ومقاصدها كدائرة اتصل كل مبتدأ فيها بمختتمها [٥٠].

وقد عني بهذا التناول كوكبة من علماء التفسير فكتب فيه السيوطي (أسرار التنزيل) [٥١] ، و (نتائج الفكر في تناسب السور) الذي عدل تسميته إلى (تناسق الدرر في تناسب السور) [٥٢]، وهو (أسرار ترتيب القرآن) ؛ وكتب أبو الفضل الغماري (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) ، وانبث ذلك في عملي البقاعي (نظم الدرر) ، و (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) .

وعرض الشاطبي لذلك النوع من التناول الموضوعي في القرآن فقال : "والمدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي ، وكذلك المكي بعضه مع بعض ، والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في النزول .

والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبنى على المكي ، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبنى على متقدمه ، دل على ذلك الاستقراء ؛ وذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله.

وأول شاهد على هذا أصل الشريعة نفسها ؛ فإنها جاءت مصححة لما أفسد من ملة إبراهيم عليه السلام ، ثم نزلت فيها سورة الأنعام مبينة لقواعد العقائد وأصول الدين من أول إثبات الربوبية إلى إثبات الإمامة . ثم لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان أول ما نزل سورة البقرة التي قررت قواعد التقوى المبنية على سورة الأنعام ؛ فبينت العبادات والعادات والمعاملات والجنايات وحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكان غيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبنياً عليها ، كما كان غير سورة الأنعام من السور المكية مبنياً عليها ، وإذا نظرت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدتها كذلك حذو القذة بالقذة ، فلا يغيبن عنك هذا المعنى فإنه من أسرار علوم التفسير" [٥٣].

فعلى الناظر في القرآن لفهم معناه : التوسط والاعتدال بالجمع بين فهم اللسان الذي جاء به وهو العربية ، وفهم معاني ما تركّب من الكلام ؛ فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة وإنما التفقه في المُعَبَّر عنه والمراد به ، كما يعلم أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات .

فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام وآخره ليحصل له المقصود منه ، فإن فرَّق النظر لم يتوصل إلى المراد ، ولا يصح تفريق النظر إلا في موطن واحد وهو النظر في فهم الظاهر من ذلك الموطن بحسب ما يقتضيه اللسان العربي ، فإذا صح له الظاهر رجع به إلى الكلام كله فبدا له مقصود المتكلم منه[٥٤].

ثم الكتاب - بعد كل ما تقدم - مبني على مقاصد منها الجواهر. وأعلاها : العلم الأشرف الذى تراد كل العلوم له ، ولا يراد هو لغيره ، وهو علم معرفة الذات الإلهية وما يليق بجلالها من صفات وأفعال ، ثم علم الآخرة المشتمل على معرفة الصراط والمآل ، ومنها الدرر ، ويمثلها : بيان ما ينجي من الأقوال والأعمال.

وسر الكتاب حاصل في دعوة العباد إلى ربهم المعبود ، ولذلك انحصرت سوره في ستة أنواع : ثلاثة مهمة ؛ تناولت معرفة الله - تعالى - والصراط والمآل ، وثلاثة متمة ؛ تناولت أحوال الأولياء والأعداء وسبل الطاعة .

وانشعبت علومه إلى : علوم اللباب وهى قصص القرآن ، ومحاجّة الكفار ومنه انشعب علم الكلام لرد البدع والضلالات ، وعلم الحدود ومنه انشعب علم الفقه ، وعلوم الصرف وهي علوم اللغة والنحو والقراءات والتفسير ، فهذه مجامع العلم التي تنشعب من القرآن ومراتبها [٥٥].

الخاتمة

ونحددها فيما يلى:

١- تنوعت وتعددت مناهج التفسير بتنوع وتعدد المفسرين أنفسهم.

٢- ظهور أنماط جديدة ومناهج مستحدثة فى تفسير القرآن الكريم مكنت المفسر من أداء واجبه فى توجيه المجتمع الإسلامى.

٣- من أهم المناهج الحديثة : التفسير بالمقال ، التفسير الموضوعى ، التفسير التقليدى الموضوعى.

٤- المنهج الموضوعى وجدت إشاراته عند النبى ﷺ وبعض الصحابة رضى الله عنهم ، وبعض المفسرين والمحدثين.

٥- تعدد طرق التفسير الموضوعى ناسب المراحل ، ومكن من رصد التطور المنهجى حتى بلغ طور النضج والاستقرار.

٦- تتبع الكلمة ، تتبع الموضوع ، تتبع السورة ، تتبع العلاقات . أهم طرق تناول التفسير الموضوعى .

٧- على المفسر أن يتجنب الإسرائيليات والروايات الضعيفة ، ويعنى بشرح الكلمات وتوجيه القراءات ، ويحافظ على تسلسل أفكار بحثه.

الهـــــوامش

١- هذه التقسيمات ، تقسيمات عصرية فنية ، ولا يكاد يخلو منها تفسير من التفاسير ، فبالنظر إلى المصدرية قسمت التفاسير إلى تفاسير نقلية وعقلية ، وبالنظر إلى التوسع والإيجاز قسمت إلى تحليلى وإجمالى.
والتفسير التحليلى: أن يعمد المفسر إلى تفسير الآيات حسب ترتيبها فى السورة ويذكر ما فيها من معان وأقوال وإعراب وبلاغة وأحكام وغيرها مما يعتنى به المفسر ، وهذا هو الأسلوب الذى سارت عليه التفاسير إلى وقتنا الحاضر ، ولازال العلماء يصدرون تفاسيرهم على هذا الأسلوب. ومن أمثلة هذا القسم: تفسير ابن جرير الطبري وتفسير القرطبى.
أما التفسير الإجمالى: فيعنى بالكلام عن المعنى الإجمالى للسورة ، وكذلك الكلام على المقاطع بصورة إجمالية. ومن أمثلته: تفسير محمد فريد وجدى "المصحف المفسر" والتفسير الوسيط إصدار مجمع البحوث الإسلامية. والنوع الأخير "المقارن": فيعنى بالموازنة بين آراء المفسرين وأقوالهم فى معانى الآيات القرآنية وموضوعاتها ودلالتها ، والمقارنة بين مناهجهم وفق منهجية علمية موضوعية. وقد ظهر أخيراً فى مجهودات فردية.
٢- أنظر: النبأ العظيم ، ص ١٥٥.
٣- أنظر: الإتقان للسيوطى ٢٢٣/٢ ، ٢٢٤ ، تاريخ تفسير القرآن الكريم ، أستاذنا د/ محمد إبراهيم شريف ، مكتبة الشباب/ ١٩٨١ ، ص ٦٦ ــ ٧١ ، مناهل العرفان للزرقانى ٩/٢.
٤- انظر: أستاذنا د/ محمد إبراهيم شريف ، مرجع سابق ، ٧٩ ــ ٨١ بتصرف
٥- كنا قد ألمحنا إلى كتاب "التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم" الصادر عن جامعة الشارقة ، ولنا أن نعلم أن أكثر من عشرة أساتذة بالإضافة إلى لجنة منظمة متخصصة قضوا سنوات فى إعداد هذا الكتاب ، حتى صدر أخيراً ، ومع ذلك إختلفت الأساليب والمناهج كما ألمحنا.
٦- انظر: د/ محمد إبراهيم شريف ، مرجع سابق ، ٢٨١ ــ ٢٩٠ بتصرف
٧- الأنعام / ٨٢.
٨- لقمان / ١٣ .
٩- أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم . انظر الفتح ١٠٩/١ رقم / ٣٢ ورواه فى كتاب التفسير ، سورة الأنعام ، وكتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) . وهو عند مسلم فى كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه. انظر: شروح النووى ١٤٣/٢ .
١٠- وقد تناول الكلمة الواحدة وبين معانيها بعض العلماء نذكر منهم : أبوعبيد ، القاسم بن سلام ، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ فى كتابه "الأجناس" وأبو العميثل ، عبد الله بن خليد ، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ فى كتابه "المأثور" . كما أن للمبرد ، محمد بن يزيد ، المتوفى سنة ٢٨٦ هـ جهد كبير فى كتابه "ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن المجيد ".
١١- الأحقاف /١٥ .
١٢- البقرة /٢٣٣ .
١٣- الإحكام فى أصول الأحكام ١٢٥/٢ .
١٤- أنظر : منهج عمر بن الخطاب فى التشريع ، أستاذنا د/ محمد بلتاجى ــ رحمه الله ــ صـ ٢٦٠ .
١٥- يونس /٤٥.
١٦- الأحقاف /٣٥.

١٧- النازعات ٤٦.
١٨- طه / ١٠٢- ١٠٣.
١٩- الروم / ٥٥.
٢٠- انظر تفسير ابن كثير ٨٢/١ ، ٢٠٢ ، ٤١٩/٢ ، ٨٥/٣ ، ٤١/٤.
٢١- انظر صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد أرقام ٦٦٢ – ٦٦٥ شرح النووى ١٦٥/٥ وما بعدها .
٢٢- انظر صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يغرغر ، أرقام ٣٩-٤٢ ، شرح النووى ٢١٣/١ وما بعدها .
٢٣- انظر : الفكر المنهجى عند المحدثين ، د/ همام عبد الرحيم سعيد ، ص ١٦١
٢٤- مباحث فى التفسير الموضوعى ، دكتور مسلم ، صـ ٢٣ بتصريف .
٢٥- ويعد من أقدم الكتب التى وصلت إلينا وقد طبع فى عام ١٩٧٥ م فى القاهرة ، وعنى بتحقيقه شيخنا أ . د / عبد الله شحاتة – رحمه الله.
٢٦- الأشباه والنظائر ، البلخى ، ١٨٨ .
٢٧- وقد حققته د/ هند شلبى ، وصدر عن الشركة التونسية للتوزيع ، سنة ١٩٧٩ م. وليحيى بن سلام تفسير للقرآن فى ثلاثين جزءا من التجزئة القديمة ، أى فى ثلاثة أجزاء ضخمة. وقد ألمح الشيخ محمد الفاضل بن عاشور فى (التفسير ورجاله) لأسبقية ابن سلام وقال: يتضح لمن كان الطبرى مدينا له بذلك المنهج الأثرى النظرى الذى درج عليه فى تفسيره العظيم) صـ ٣٦ وما بعده
٢٨- إصلاح الوجوه والنظائر ، الدامغانى ، ١٦٧ ، وبعدها. وقد عنى بتحقيقه عبد العزيز سيد الأهل ، وصدر عن دار العلم للملايين.
٢٩- وعنى بتحقيقه محمد سيد كيلانى وصدر عن دار المعرفة بلبنان.
٣٠- السُرقة: بضم السين وسكون الراء وفتح القاء دويبة القز ، القاموس المحيط ، الفيروزآبادى ، ١٥٠٨.
٣١- هى قراءة ابن عباس ، أنظر تفسير ابن كثير ، ٤٨٠/٢ ، ابن جرير ١٣٥/١٢ ، ط دار المعرفة.
٣٢- المفردات فى غريب القرآن ، الراغب ، ٢٣
٣٣- وقد عنى بتحقيقه محمد عبد الكريم كاظم ، وصدر عن مؤسسة الرسالة فى طبعته الأولى ١٤٠٤/١٩٨٤م.
٣٤- انظر: نزهة الأعين ، ابن الجوزى ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٠.
٣٥- مباحث فى التفسير الموضوعي، الدكتور مسلم ، ص ٢٧ – ٢٨ بتصريف.
٣٦- المصدر السابق.
٣٧- الإمام محمد عبده ومنهجه، الدكتور عبد الغفار ، ص ٢٢٢ – ٢٢٤.
٣٨- الوحدة الموضوعية، الدكتور حجا زى ، ص ٩١.
٣٩- الدكتور حجا زى ، مرجع سابق.
٤٠- الدكتور حجا زى ، مرجع سابق ، ص ١٢٥.
٤١- مباحث فى التفسير الموضوعى ، الدكتور مسلم ، ص ٢٨ – ٢٩ ، بإيجاز. وأنظر: تفسير سورة الواقعة ، للشيخ د. محمد أبو شهبة ، دراسات فى التفسير . دراسة تحليلية لسورة الحجرات ، د/ محمود لطفى محمد جاد ، حسن الخطاب فى مقاصد سورتى البقرة وخاتمة الكتاب ، د/ أحمد الشحات أحمد موسى والدكتور/ محمد البهى ، التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ، تناول مجموعة من السور

كلا على حدة [الأنعام ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر، النحل ، الإسراء ، الكهف ، المؤمنون ، الشعراء ، الصافات ، الجن].

٤٢ـ الموافقات ، الشاطبي ، ٤١٥/٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٥ هـ ، وانظر : البقرة : ١٨٣ ــ ١٨٧.

٤٣ـ الموافقات ، الشاطبي ، ٤١٥/٣ ، وبعدها بإيجاز.

٤٤ـ مصاعد النظر ، ١٤٢/١ . وبعدها.

٤٥ـ مباحث في التفسير الموضوعي ، الدكتور مسلم ، ص ٢٩ ، بتصرف.

٤٦ـ المرجع السابق.

٤٧ـ منهج ابن القيم في التفسير ، محمد أحمد السنباطي ، ص ٨٤ ، وبعدها.

٤٨ـ مصاعد النظر ، ١٤٩/١ ــ ١٥٠.

٤٩ـ المرجع السابق ، ١٥٠/١ ــ ١٥٣.

٥٠ـ مدخل إلى القرآن الكريم ، دراز ، ص ١١٩ ، ومباحث في التفسير الموضوعي ، الدكتور مسلم ، ص ٤٤ ــ ٤٦.

٥١ـ أسرار ترتيب القرآن ، السيوطي ، ص ٦٥ ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ ــ ١٩٧٦م ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا.

٥٢ـ المرجع السابق ، ص ٦٧.

٥٣ـ الموافقات ، الشاطبي ، ٤٠٦/٣ ــ ٤٠٧ بإيجاز يسير.

٥٤ـ الموافقات ، الشاطبي ، ٤٠٩/٣ ، وبعدها بإيجاز.

٥٥ـ جواهر القرآن ، الغزالي ، ص ١٧ وبعدها ، تحقيق الدكتور محمد رشيد القباني ، دار احياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١ هـ.

المراجـــــــع

١- الإتقان ، عبد الرحمن السيوطى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، مصر ، ط ١٣٩٨/٤هـ.

٢- الإحكام فى أصول الأحكام ، ابن حزم ، مطبعة العاصمة بالقاهرة ، نشر زكريا يوسف.

٣- الأشباه والنظائر ، مقاتل بن سليمان البلخى ، ت د/ عبد الله شحاته ، القاهرة / ١٩٧٥.

٤- إصلاح الوجوه والنظائر ، الدامغانى ، دار العلم للملايين ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ط ٣/١٩٨٠ .

٥- تاريخ تفسير القرآن الكريم ، محاضرات طلابية، أستاذنا د/ محمد إبراهيم شريف ، مكتبة الشباب بالقاهرة، ١٩٨١.

٦- تفسير ابن جرير الطبرى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان . د. ت.

٧- تفسير ابن كثير ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، مصر . د. ت.

٨- جواهر القرآن ، الغزالى ، دار إحياء العلوم ، بيروت.

٩- شرح النووى على مسلم ، دار التراث العربى ، مصر. د. ت.

١٠- فتح البارى لابن حجر ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط٣/٧/١٤٠٧هـ.

١١- الفكر المنهجى عند المحدثين ، د/ همام عبد الرحيم سعيد ، كتاب الأمة ، رقم ١٤٠٨/١٦هـ.

١٢- مباحث فى التفسير الموضوعى ، د/ مصطفى مسلم ، دار العلم ، دمشق ، ط ١٤١٠/١هـ.

١٣- مصاعد النظر ، البقاعى ، مطبعة المعارف ، الرياض ، ط ١٤٠٨/١هـ.

١٤- المفردات فى غريب القرآن ، الأصفهانى ، دار المعرفة ، لبنان ، ت/ محمد سيد كيلانى.

١٥- مناهل العرفان ، الزرقانى ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر . د. ت.

١٦- منهج عمر بن الخطاب فى التشريع ، أستاذنا د/ محمد بلتاجى ، دار السلام بالقاهرة ، ط٣/٢٠٠٣.
١٧- الموافقات ، الشاطبى ، دار الفكر العربى ، بيروت ، ط ٣/١٣٩٥هـ.
١٨- النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، دار الثقافة ، الدوحة ، ١٩٨٥م.
١٩- نزهة الأعين والنواظر ، ابن الجوزى ، ت/ محمد عبد الكريم كاظم ، مؤسسة الرسالة ، ط١/١٤٠٤هـ.
٢٠- الوحدة الموضوعية فى القرآن ، د/ محمد محمود حجازى ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدنى.

ملخص
التفسير الموضوعى وطرق تناوله

د/ محمد أحمد حسن محمود
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
جامعة جنوب الوادى

لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا : إنَّ من العسير علينا حقاً أنْ نجد كتاباً كان محل الإهتمام المتنوع الذى حظى به القرآن الكريم .

وقد تعددت الدراسات ، وتنوعت المؤلفات لمعرفة الغايات ، والوقوف على المرامى ، فظهر ما يسمى بالتفسير التحليلى والإجمالى والمقارن والموضوعى . ولتوضيح طرق النوع الأخير جاء البحث فى : تمهيد وفصلين ؛ فحمل التمهيد التطور التاريخى للتفسير الموضوعى وطرقه . وتناول الفصل الأول : أهم الإشارات للمنهج الموضوعى سواء فى التفسير أو السنة النبوية . أمَّا الفصل الثانى ؛ فجاء فى أربعة مباحث ، تناولت : الكلمة ، الموضوع ، السورة ، ثم العلاقات . أمَّا الخاتمة فاشتملت على أهم النتائج . وأخيراً قائمة المراجع .

وبالله التوفيق .

Dealing with the objective interpretations of the Holy Quran

Dr. Mohamed Ahmed Hassan Mahmoud
Assistant Professor of Islamic Studies
South Valley University

As a matter of fact there are many thinkers, as well as researchers who are obsessed with studying, interpreting, analyzing and understanding the Holy Quran. These efforts are done in a variety of ways and these led to the emergence of some analytic, comparative, and objective interpretations of the Holy Quran. This present paper focuses on examining the objective interpretations and how to handle them in a proper manner .

To achieve this aim, the research is divided into two chapters. Chapter one deals with objectivity and its impact on the various interpretation of Holy Quran, as well as the Sunnah of our propht Mohamed (Peace and Prayers Allah be upon him). As for Chapter two, it is divided into four minor parts: (a) it examines some verses of the Holy Holy Quran, (b) some topics, (c) Suras, and (d) the interrelations among these aforementioned variables. This is followed by the conclusion and the research reaferences.